الأفعال الكلامية في خطب الإمام الحسين دراسة تداولية

المدرس الدكتور
زهراء جياد البرقعاوي
الكلية الإسلامية الجامعة ـ النجف الأشرف
zahra_abbas39@yahoo.com

تشكل اللسانيات التداولية أحد أهم الاتجاهات التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر، بهدف دراسة المعنى وضبطه في سياقه الاستعمالي داخليا وخارجيا؛ إذ بعدما كانت اللسانيات تقصر أبحاثها على الجانبين البنيوي والتوليدي؛ فتهتم بدراسة مستويات اللغة وإجراءاتها الداخلية (جانب بنوي)، وكذا وصف وتفسير النظام اللغوي ودراسة الملكة اللسانية المتحكمة فيه (جانب توليدي)، في إطار ما يصطلح (عليه بلسانيات الوضع)، جاءت اللسانيات التداولية لتعالج في مقابل ذلك ما يسمى بـ (لسانيات الاستعمال)[١] ورغم أنها لم تحظ باستقرار منهجي نسبيا لتعدد نظرياتها وتعدد مشاربها النظرية والمعرفية إلا أن ما أتاحته نظرياتها من آليات وأدوات أسهمت في تكريس المعرفة اللسانية واكتشاف أبعاد جديدة في دراسة الظاهرة اللغوية هو ما جعلها محط الاهتمام في الدراسات المعاصرة، وقد اكتسبت التداولية تعريفات عدة، بعضها يتجه وجهة وظيفية، وبعضها يركز على أهمية السياق وبعضها الآخر يركز على الجوانب المختلفة للمعنى في التواصل[٢]، إذ إن تقديم تعريف للتداولية يلم بجميع جوانبها، ويشملها أمر من الصعوبة بمكان ذلك أنها مبحث لساني، ونظرية لما يكتمل بناؤها بعد، هذا من جهة ومن جهة أخرى نجدها تتقاذفها مصادر معرفية عديدة[٣] وقد أدى هذا الاتساع والتنوع أن أصبح من العسير تحديد تعريف جامع لها[٤]، ومن أقدم التعريفات التي قدمت لها، نجد تتعريفا لـ(شارل موريس) سنة ١٩٣٨ يرى فيه أن التداولية فرع من الفروع السيميائية، حيث تعنى بدراسة علاقة العلامات بمؤوليها، وهذا التحديد يوسع من مجال التداولية لتشمل العلامات اللغوية وغير اللغوية[٥]، فهي ((علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره))[٦] فهي تركز على عملية التواصل كالعلاقة بين المرسل والمتلقي والسياق والقصدية والإيماءات

والملامح والسلوكيات وغيرها من العوامل المساعدة في نجاح التواصل فهي ((فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم intention Speakerأو هو دراسة معنى المتكلم Speaker meaning))[٧]، إن اشتراط القصدية في التواصل يحيل إلى أن هذا الفعل غير عشوائي، إنما هو فعل مخطط له، ويعني ذلك أن تحليل معاني العبارات والألفاظ اللغوية رهين بتعيين أغراض المتكلم ومقاصده العامة من الخطاب[٨] وقد غدت نظرية أفعال الكلام قطب الرحى في الدراسات اللسانية التداولية المعاصرة[٩] فالبحث في موضوع الأفعال الكلامية ((هو بحث في مضغة الاهتمام الأولى للتداولية اللغوية وأساس من أكبر أسسها، ويرى أحد الدارسين أن تطبيق هذا المفهوم على الكثير من اللغات الغربية، واستمار ما انبثق عه من تصورات ومبادئ إجرائية وظيفية أثرت بقوة وعمق في مسار الدراسات اللسانية وقد حقق نجاحا في وصفها وفي رصد خصائصها التداولية))[١٠].

لقد شاع استخدام ((مصطلح الفعل الكلامي بين الدارسين واختلفت تعريفاته تبعا لاختلاف المرجعيات الإبستيمولوجية التي ينطلقون منها، وحسب المتفق عليه فإن فعل الكلام هو التحدث بما يعني تحقيق أفعال لغوية))[١١] أو هو ((كل ملفوظ يقضي التلفظ به في شروط معينة إلى حدث أو فعل وينتج هذا الفعل آثارا قد تكون لغوية، وقد تكون غير لغوية))[١٢]، ويعد أوستن ((أول من قال إن اللغة نشاط وعمل ينجز، أي أن المتكلم لا يخبر ويبلغ فحسب، بل إنه يفعل أي يعمل، يقوم بنشاط مدعم بنية وقصد يريد المتكلم تحقيقه من جراء تلفظه بقول من الأقوال، فاللغة ليست بنى ودلالة فقط، بل هي أيضا فعل كلامي ينجزه المتكلم ليؤدي به أغراضا فهو عمل يطمح منن خلاله أن يحدث))[١٣].

ويعد كتاب جون أوستن (كيف ننجز الأفعال بالكلمات؟) الذي ظهر عام ١٩٦٢ المؤسس لنظرية أفعال الكلام، وقد قام سيرل بتطويرها وتنظيم أفكارها فيما بعد وتحديدا في كتابه (أفعال الكلام) عام ١٩٦٩.

ولا يقول اوستين بالتقسيم التقليدي للقضايا والجمل إلى خبرية وإنشائية وبالتالي الاحتكام إلى معيار الصدق والكذب وإنما ينطلق من موقف جديد وهو أن الوحدة الأساسية للغة هي الأفعال الكلامية وإذا اعتبرنا الأقوال أفعال فإنها تسعى لتحقق شيئا ما وبالتالي فإن المسألة لا تتعلق بالصدق والكذب فقط وإنما بالسياق والمناسبة التي تم فيها[١٤]،

إذ أن هناك جملا ((لا تصف ولا خبر بشيء، ولا تثبت أمرا على وجه الإطلاق، ومن ثمّ فهي لا تدل على تصديق ولا تكذيب، وعلى ذلك فالنطق بالجملة هو إنجاز لفعل أو إنشاء لجزء منه))[١٥] وقد أطلق أوستن على هذه الأفعال مصطلح الأفعال الإنجازية وجعل ميزتها بأنها تستعمل لإنجاز فعل فهي لا توصف بصدق أو كذب بل تكون موفقة او خائبة، إذا راعى المتكلم شروط أدائها وكان أهلا لفعلها.

وقد قسم أوستن الأفعال الإنجازية على نوعين:

١- إنشائيات صريحة مثل قولنا، آمرك أن تعرض عن الجاهلين.

٢- إنشائيات ضمنية أولية مثل قولنا: أعرض عنن الجاهلين[١٦].

وصنف اوستن الأفعال اللغوية إلى خمس فصائل كبرى وهي:

١- الحكميات (القرارات التشريعية)[١٧]: هي الأفعال الدالة على حكم مثل قوّم، شخّص، عيّن[١٨].

٢- الإنفاذيات: وهو كل فعل يعبر عن اتخاذ قرار أو ممارسة في صالح شخص مثل حذر، وحرم، ونصح، وجند، اختار[١٩]

٣- الوعديات: كل فعل يعبر به المتكلم عن وعد أو عهد يفعل شيء مثل وعد، وتعهد، وتعاقد، وضمن، وكفل[٢٠].

٤- السلوكيات: كل فعل يعبر عن سلوك أو سيرة المتكلمين مثل شكر، لعن، واعتذر وتعاطف[٢١].

٥- العرضيات (الإيضاحيات) كل فعل يؤتى به لتوضيح وجهة نظر أو بيان الرأي وذكر الحجة مثل استفهم، وأكد، وأنكر، وفسّر[٢٢].

لقد وجد أوستن أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال تؤدى في وقت التلفظ بالفعل وهي: [٢٣]

١- فعل القول (الفعل اللغوي) ويشمل الفعل الصوتي والفعل التركيبي والفعل الدلالي.

٢- فعل متضمن في القول (الفعل الإنجازي)، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ إنه عمل ينجز بقول ما، وهذا القسم هو المقصود من نظرية الأفعال الكلامية برمتها[٢٤]، وقد اقترح أوستن تسمية الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال بالقوة الإنجازية ومن أمثلة ذلك السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير، وعد، أمر شهادة في محكمة[٢٥]، ونقصد ((بالقوة الإنجازية هي قصد أو هدف أو نية المتحدث من إطلاقه هذا التعبير وهو ما يعرف باسم القوة اللاتعبيرية، أي محاولة المتحدث إنجاز غرض تواصلي معين))[٢٦]

٣- فعل ناتج عن القول (الفعل التأثيري)، ((وهو ما يتركه الفعل الإنجازي من تأثير في السامع أو المخاطب سواء أكان التأثير جسديا أم فكريا، والغاية منه حمله على اتخاذ موقف أو تغيير رأي، أو القيام بعمل ما، أما التأثير في المخاطب فمن غير الممكن التنبؤ به، وقد يكون عكس ما يتوقعه المتكلم، ولا يمكن معرفة مدى التأثير في السامع إلا بعد صدور فعله))[٢٧]

فهي ليس أفعال ثلاثة يستطيع المتكلم أن يؤديها واحدا تلو الآخر بل هي جوانب لفعل واحد[٢٨]، ويشترط أوستين لنجاح الفعل الكلامي توفر مجموعة من عناصر السياق أدرجها في مفهوم شروط النجاح وهي عوامل ترتبط بالحالة النفسية للمتخاطبين وبقدرة هؤلاء على تحقيق ما يتلفظون به وكذا الأنماط القانونية التي تسمح بتحقيق الأفعال دون أخرى.

ثم جاء جون سيرل فأحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها نظرية الأفعال الكلامية إذ ((وجه سيرل بعض الإنتقادات الرامية إلى وجود بعض النقائص في دراسات اوستن للأفعال اللغوية، التي لم تبن على أصول واضحة، بالإضافة الى وجود بعض التداخل بين مجموعات الأفعال اللغوية، نظرا لعدم وضوح الأساس الذي قسمت على وفقه هذه الأفعال وكذلك فإن جهود أوستن في هذا المجال كانت موجهة نحو دراسة الألفاظ وليس الأفعال أي دراسة لفظ الفعل وليس الفعل منجزا))[٢٩]، وتقوم أفكاره على المبادئ الآتية:

١- يعد الفعل المتضمن في القول (الإنجازي) هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي وللقوة الإنجازية دليلا يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم حين نطقه

الجملة، كالنبر والتغيم وصيغ الفعل.

٢- الفعل الكلامي لا يقتصر على مراد المتكلم بل يرتبط أيضا بالعرف اللغوي والاجتماعي.

٣- طور شروط الملاءمة التي تحدث عنها أوستن وجعلها أربعة شروط وطبقها على الفعل الانجازي تطبيقا محكما.

٤- صنف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف وهي:

أ. الإخباريات أو التقريريات: والغرض الإنجازي منها هو نقل المتكلم واقعة ما وأفعال هذا الصنف قابلة للصدق والكذب[٣٠]

ب. التوجيهيات أو الأمريات أو الطلبيات: وغرضها الإنجازي هو جعل المستمع يتصرف بطريقة ما ولا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة وغنما يمكن أن تطاع أو تهمل أو يخضع لها[٣١]

ت. الإلتزاميات أو الوعديات: وغرضها الإنجازي أن ((يلزم المتكلم نفسه بفعل في المستقبل))[٣٢].

ث. التعبيريات أو البوحيات: وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الحالة النفسية مثل شكر وهنأ واعتذر وعزى وتأسف ورحب[٣٣].

ج. الإعلانيات أو الايقاعيات: ((وهي الأفعال التي تحدث تغييرات فورية في نمط الأحداث العرفية التي غالبا ما تعتمد على طقوس اجتماعية))[٣٤].

ولو استقصينا أصناف الأفعال الكلامية في خطب الإمام الحسين بحسب ما وضعه سيرل من تصنيف نجد المقاصد كالآتي:

١- الإخباريات (التقريريات): ((الغرض منها تحمل المتكلم مسؤولية صدق القضية المعبر عنها. وتتميز التقريرات بأن اتجاه المطابقة يكون اتجاها من القول إلى العالم أي أن يكون القول مطابقا للوقائع، والأحداث الموجودة في العالم الخارجي. كما تتميز التقريرات بصدورها عن حالة نفسية عبر عنها بالاعتقاد))[٣٥]، والقوة الإنجازية

المباشرة للإخباريات هي: الوصف، والإخبار، والتقرير، أما القوة الإنجازية غير المباشرة المستلزمة مقاميا فهي: المدح، والذم، والتعظيم، والثناء، والتقريع، والتعريض، والوعد، والوعيد، والدعاء، والتمني، والإباحة، والأمر، والنهي، والتحليل، والتحريم، والحث، والترغيب، والترهيب، والتكذيب، والتسلية، والتبكيت. ومن تلك التقريريات التي عبر عنها الإمام الحسين عليه السلام والتي طابقت الواقع وكانت قوتها الإنجازية متمثلة بتحقق ذلك الاعتقاد الذي عبر عن شرط أساسي من شروط الملاءمة في إنجاح الفعل الكلامي وهو شرط الإخلاص وهو خاص بالمتكلم، فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع، قوله عليه السلام ((**كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشا جوفا وأجربة سغبا، ولا محيص عن يوم خط بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز بهم ما وعده**))[٣٦]، فالإمام عليه السلام كان صادقا مع من يتبعه، فهو يعرف المصير الذي يسير إليه، ويعلم أنه ماضٍ في طريق الشهادة، وَعد وعده به الله ورسوله، وخطابه كان قبل خروجه من مكة. وقد بُني الخطاب على صورة متكاملة تجسّد الحدث بكل دقائقه وكأنّ السامع يراها أمامه، إذ صوّر وحشية العدو وشراستهم من خلال صورة استعارية فهم كذئاب متوحشة، بطونها فارغة ينهشها الجوع بكل قوة فتجد أمامها ما تفترسه لتملأ منه بطونها، ومن خلال الاستعارة تحقق المحتوى القضوي للفعل ويقصد به أنّ في كل فعل إنجازي يتحتم وجود قضية يعبر عنها المتكلم[٣٧] وهو وصف حالة الجيش ووحشيتهم والتعريض بهم حيث ((أنّ الصورة الاستعارية في الخطاب لا تعنى بحقيقة الجوع وفراغ البطون، بقدر ما تصور الحاجة الدنيوية لهذا الجيش بأكراش هذه الحيوانات الجائعة))[٣٨] أو كقوله عليه السلام ((**وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحل بكم نقمته وجنبكم رحمته، فنعم الرب ربنا وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد ثم انكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، وقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبا لكم ولما تريدون، إنّا**

لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم قد كفروا بعد إيمانهم فبعدا للقوم الظالمين))[٣٩]، فقد وصف حالهم من خلال تراكيب فعلية دالة على التجدد والحدوث، وهو اجتماعهم لما فيه غضب الله ورسوله - وهو قتله واستحلال دمه_ ليقرر أمرا هو نتيجة لاجتماعهم هذا وهو غضب الله وسخطه وتجنيبهم رحمته وقد أكد ذلك عليه السلام من خلال استعمال الأفعال الماضية للدلالة على حتمية وقوع الحدث ليتحقق شرط الإخلاص في الفعل الانجازي و ليتحقق المحتوى القضوي للفعل وهو تنبيههم على سوء فعلهم وتحذيرهم منه. ثم يطابق عليه السلام بين الفعل الكلامي والواقع الخارجي من خلال أسلوب المدح والذم باستعمال الفعلين (نعم وبئس) فالله نعم الرب وبئس العبيد هم، وقد استعان باستراتيجيات الحجاج التقريري من خلال احتجاجه بدلالة الحديث النبوي ومعناه وألفاظه بصورة غير مباشرة في قوله _ آمنتم بالرسول ثم انكم زحفتم إلى ذريته تريدون قتلهم. ولم يكتف الإمام عليه السلام بذلك بل استمر في وصفهم وتقرير حالهم بكونهم قوم استحوذ عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله ومبادئ دينه الحنيف.

وكذلك قوله عليه السلام.

٢- التوجيهيات (الطلبيات) أو (الأمريات): ((وهي نوع من أفعال الكلام التي يستعملها المتكلمون ليجعلوا شخصا آخر يقوم بشيء))[٤٠] وغرضها الإنجازي هو توجيه المخاطب إلى الفعل، ومحاولة التأثير فيه[٤١]، وهي تضم كل الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها[٤٢]، وتتميز التوجيهيات بالوضوح في التعبير عن قصد المتكلم، فذلك يزيل اللبس على السامع ويعد الأمر من أكثر الأساليب استعمال في التوجيه((فبمجرد نطق المتكلم بصيغة الأمر، يكون قد أضفى على نفسه مرتبة الآمر، فيضع الآخر في مرتبة المأمور))[٤٣] وتتدرج أفعال التوجيه في قوتها الإنجازية باختلاف السلطة أو المكانة بين المتكلم والمخاطب، وهذا مايعطي أفعال التوجيهات أشكالها المختلفة من أمر ونصح والتماس ودعاء ونهي. وتقسم على قسمين:

أ. التوجيهات النفسية: وهي توجيهات تصدر عن المتكلم في شكل انفعال يعبر عنه

متوجها به إلى المتلقي لكي يحثه، او يحرك مشاعره ليؤدي فعلا، او يمتنع عن أداء الفعل، ومن هذا النوع مثلا العتاب والطمأنة [٤٤].

ب. **التوجيهات الطلبية:** وهي توجيهات تصدر من المتكلم، لتوجيه المتلقي أو التأثير عليه، مع خلوها من الجانب الشعوري غالبا، وينبغي أن يكون قابلا للتنفيذ، كالاستفهام والنداء والأمر والاستعطاف والنهي ولكل واحدة قوة انجازية مباشرة وقوى إنجازية مستلزمة مقاميا.

ومن الأقوال الإنجازية للإمام الحسين عليه السلام ((**من كان باذلا فينا مهجته، وموطنا على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإنني راحل مصبحا إن شاء الله**))[٤٥]. فقد وجه دعوته إلى المؤمنين، إلى من يبذل نفسه في سبيل الله ويوطنها على لقائه، ويكون قادرا على مواجهة المصير الذي يؤول إليه أن يرحل معه ويشد أزره، فيكون المحتوى القضوي متحققا بطلب الرحيل من خلال الفعل المباشر (فعل الأمر).

أو كقوله عليه السلام ((**الا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل مني ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا**))[٤٦] فقد استعمل الإمام عليه السلام صيغة فعل الأمر (فانطلقوا) (فاتخذوه) ليوجه المتلقي الى أداء الفعل من خلال القوة الإنجازية المستلزمة التي نستشفها في المثل الذي وظفه الإمام الحسين عليه السلام وهو مثل يضرب لمن يطلب حاجته في الليل حتى ينالها [٤٧]، فالليل ستر لمن أراد أن يذهب فيه وهو مثل الجمل في قدرته على حملهم الى بر الامان على الرغم من الصعاب وخطورة الطريق[٤٨]. أو قوله عليه السلام ((**أيها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمن من الأرض**))[٤٩]، فقد احتج عليه بأن يدعوه من خلال المحتوى القضوي الذي استلزمه فعل الأمر (دعوني).

أو قوله عليه السلام ((**لا ترحلوا منها، ها هنا والله مناخ ركابنا، ها هنا والله سفك دمائنا، ها هنا والله ذبح أطفالنا، ها هنا موضع قبورنا، وبهذه التربة وعدني جدي رسول الله ولا خلف لقوله**))[٥٠] فقد استعمل صيغة النهي المكونة من (لا والفعل المضارع) وهي صيغة نهي مباشرة استدعت فعلا تأثيريا ((فما يتلفظ به المتكلم من كلام يتحول إلى أفعال ذات امتداد اجتماعي وتعتبر في الوقت نفسه حملا للمخاطب على القيام بفعل معين))[٥١] وهو التأكيد

والتثبيت على المتلقي بأن هذه الأرض هي مثواه الأخير هو وأصحابه ليتحقق المحتوى القضوي وهو تمهيد أصحابه وتبليغهم بأن القتل له ولهم لا محالة واقع وحاصل

٣- **الوعديات (الالتزاميات):** وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل، ويسمى الغرض الوعدي وأطلق عليها جورج يول ((الملزمات وهي تعبر عما ينويه المتكلم من وعود وتهديدات وتعهدات))[٥٢] بحيث يأخذ المتكلم على عاتقه جعل العالم ملائما للكلمات، والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلم شيئا في المستقبل وهي التزام من جانب المتكلم، أي يجعل نفسه ملزما بفعل ما يقول إنه يفعله))[٥٣] والشرط المعد هو قدرة المتكلم على أداء ما يلزم نفسه به))[٥٤].

ومن ذلك ما جاء في قوله عليه السلام ((**والله لو رام ذلك أحد من الناس لسقيت الأرض من دمه قبل ذلك**))[٥٥] إن طبيعة الخطاب الصادر من الحسين عليه السلام يناسب المقام القضوي الدال على شدة الغضب وتعبير عن القوة وهو أقوى أنواع الالتزاميات إذ أقسم بلفظ الجلالة على تحقيق ذلك الفعل الإنجازي من خلال الوعيد الذي وجهه عليه السلام لخصمه.

أو قوله عليه السلام ((**أما والله لا تلبثون بعدها الا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور عهد عهده إلي أبي عن جدي فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تُنظرون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تُنظرون**))[٥٦] بدأ الإمام كلامه بأداة الاستفتاح (أما) ثم أعقبها بالقسم تأكيدا لهم على صدق مقولته فقد وعدهم عليه السلام قبل أن يقتتلوا النهاية التي تنتظرهم بعد قتله، وأخبرهم أن الدنيا التي باعوا كل شيء من أجلها لن تدوم لهم ولن يطول بقاؤهم فيها وقد تحقق ذلك الفعل الإنجازي على الواقع وسلط عليهم الله من يقتلهم ويمزقهم شر تمزيق وباءوا بغضب الله وسخطه، ومن خلال الاستلزام الحواري استعمل عليه السلام آلية لا يرتبط فيها اللفظ والقصد برابط لغوي، وإنما يرتبط ببيان القصد على إسهام عناصر السياق الموظفة، فالمتلقي لا يدرك معناها إلا من خلال القرائن وأضرب الاستدلال العقلي، إذ نجد الكناية في قوله عليه السلام (**الا كريث ما يركب الفرس**) ونلمح في هذا التركيب دلالة على قرب نهايتهم وسرعتها.

ولم يكتف عليه السلام بالمؤكدات السابقة وإنما احتج على صدق كلامه بكونه عهدا له من

رسول الله ﷺ وقد استعمل اسلوب الاحتجاج بالقرآن من خلال اقتباسه آيتين تمثلان نهاية مشتركة للظالمين، فقايس بين نهاياتهم ونهايتهم وعدا منه وتحذيرا لهم.

٤- **التعبيريات (الإفصاحيات):** وهي نوع من أفعال الكلام، التي تبين ما يشعر به المتكلم، وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الحالة النفسية تجاه الواقعة التي تعبر عنها القضية، ويطلب في الإخلاص في التعبير عن القضية، ((ويمكن أن تتخذ شكل جمل تعبر عن سرور، أو ألم، أو فرح، أو حزن، أو عمل محبوب، أو ممقوت))[٥٧] والافصاح ((استعمال اللغة بقصد التعبير عن موقف نفسي ذاتي، دون إرادة التأثير في البيئة، ولا يتحتم في هذه الحالة أن يكون الإسماع مقصودا))[٥٨] وتنقسم على قسمين:

أ. **التعبيريات الاجتماعية:** هي التي تتصل بوجدان المتكلم، لكنها تقتضي مشاركة من المتلقي، بحيث يلتفت المتكلم إلى حالة المتلقي، وكون هذا المتلقي مشاركا أساسيا في الموقف التداولي.

ب. **التعبيريات النفسية:** هي تخص وجدان المتكلم وتعبر عن حالته النفسية، ولا تقتضي بالضرورة مشاركة من المتلقي[٥٩].

ومن قوله عليه السلام ((**لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما**))[٦٠]. إذ عبر عليه السلام عن شعوره وحالته النفسية تجاه الواقع الخارجي فهو يفضل الموت ويراه سعادة في قبال الحياة مع الظالمين وهي مفارقة عظيمة تدل على محتوى قضوي هو شعوره واندماجه مع قضيته ومعتقده والفعل الاستلزامي الحاصل من سياق الخطاب التأثير في المتلقي وإشعاره بسوء الحال الذي وصل له الواقع الذي كان يعيشه عليه السلام.

أو قوله عليه السلام ((**خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه**))[٦١] لقد عبر عليه السلام عن الشعور الذي يشعره فهي من التعبيريات النفسية الخاصة بالمتكلم، وهي تعبيريات اجتماعية تستلزم تزهيد المتلقي في الدنيا والإشارة إلى أن كل ما فيها مصيره الزوال ونهايتها الحتمية هي الموت، فقد ركز على حدث الموت ووقوعه ولتقوية المحتوى الإنجازي للفعل استعان بدلالة حرف الجر (على) الذي فيه معنى الاستعلاء ليبرز من خلال ذلك طابع العلو والسيطرة

والتمكن في إيقاع الموت[٦٢]، فقد عبر عليه السلام عن انفعالاته وأفصح عن شعوره الداخلي من خلال فعل كلامي غير مباشر استلزمته استعارة صورة من أعظم الصور التي رسمها القرآن الكريم لبيان شدة اشتياق يعقوب ليوسف وهو تشبيه جسد عليه السلام فيه حالته وشعوره الداخلي وحنينه إلى الموت الذي يكون سببا لجمعه بأسلافه وأهله وهو وقد تحقق الفعل القضوي من خلال صدق تعبير المتكلم عن نفسه وإخلاصه واعتقاده فيما يقول.

٥- الإيقاعيات (الإعلانات): وهو صنف يتصل بالأحكام والتصريحات التي يصدرها المتكلم تجاه المتلقي، وهي أفعال تؤثر على العالم الاعتباري القانوني، ويصل تأثيرها إلى ضبط العلاقات بين الناس، ويترتب على الإخلال بها مخالفات شرعية، وعقوبات قانونية واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، ومن الكلمات إلى العالم (اتجاه مزدوج) كما سماه سيرل[٦٣].

ومن الإعلانيات التي جاءت في كلام الإمام الحسين عليه السلام قوله ((**الا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، الا واني زاحف بهذه الاسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر**))[٦٤]. لقد ابتدأ الامام الحسين عليه السلام خطابه بأداة التنبيه (ألا) لغرض تداولي انجازي ليشد الأسماع وليلفت نظر القوم إلى المسألة التي يريد الإشارة إليها وبيانها من خلال فعل كلامي غير مباشر ويتمثل بتحديد نسب هذا الأمير الذي يسيرون بأمره وينفذون إرادته، ويخذلون ابن بنت نبيهم وولي أمرهم فقد كان ابوه من أدعياء العرب ليستلزم فعلا قضويا هو تنبيههم وارشادهم لخطورة الحال التي هم فيها، وأن هذا الدعي (قد ركز بين اثنتين) والمحتوى القضوي لهذا الفعل الكلامي غير المباشر هو الخيارات التي يريدها ابن زياد وهي الخضوع لأسياده من بني أمية أو القتل. ليأتي بعد ذلك إعلانه وموقفه من تلك الخيارات والذي يمثل الفعل الإنجازي الأساسي ويعبر عن المحتوى القضوي العام لخطب الامام الحسين عليه السلام وهو (**هيهات منا الذلة**) (**الا واني زاحف بهذه الاسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر**) إذ عبر عن موقفه باسم الفعل هيهات الذي بدأ به التركيب والذي يستلزم معنى ومحتوى قضوي هو البعد الذي لا حدود له واستحالة حدوث ما بعده.

ومن هنا ((فإن شيئا من ذلك لم يحص لأن الذلة الحقيقية إنما تحصل لو حصلت المبايعة للحكم الاموي والخضوع له، تلك هي الذلة التي تجنبها الحسين عليه السلام بكل جهده وضحى ضدها بنفسه))(٦٥).

وقد كان اعلانه لقراره الذي هو نتيجة وفعل انجازي لمقولة هيهات منا الذلة وهو إعلان القتال ودخول الحرب بالرغم من كل الصعوبات التي تحيط بالإمام وأصحابه من قلة العدد والعدة وتخلي الناس عن نصرهم وهذا الإعلان تأسيس حكم يحاول الإمام عليه السلام تغييره.

أو قوله عليه السلام ((**اني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي وأبي علي بن ابي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ علي أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم الظالمين وهو خير الحاكمين**))(٦٦).

لقد أعلن عليه السلام عن غرض خروجه الإنجازي من خلال فعل الكلام المباشر وهو تحديد هدف الخروج وتخصيصه باستعمال أداة الحصر (انما)، الذي قابل به نفيه المباشر والصريح لخروجه أشرا أو بطرا فالغرض التداولي الذي حققه هذا النص هو إعلان عن هدف خروجه، وقد عبرت الأبنية التي استعملها الامام بدقة عن مراده وكشفت من خلال تراكيبها عن الصراع الشديد من أجل حطام دنيا زائلة، لقد كانت دعوة صادقة من أجل تحكيم مبادئ الدين الإسلامي في بناء المجتمع ليصل من خلال ذلك إلى بر الامان(٦٧).

الخاتمة:

- إن خطاب الأمام الحسين عليه السلام كان بأفعاله الإنجازية موضحا ومعبرا ومعلنا عن هدفه من الخروج بوجه الظلم من خلال الأفعال الكلامية الإعلانية.
- حملت خطبه بعدا تربويا واحتجاجيا لإقناع المتلقين على اختلاف طبقاتهم بسوء حالهم وابتعادهم عن الطريق القويم من خلال الأفعال الكلامية الطلبيات والوعديات.
- إن المحتوى القضوي للأفعال الكلامية تنوع بين تحذير وذم ونصح والتذكير بمكانته ومنزلته الاجتماعية والدينية.
- استعمل الامام الحسين عليه السلام الاستلزام الخطابي فالمتلقي يصل إلى مقاصد الخطاب ودلالته وأهميته من خلال (الفعل اللغوي غير المباشر)

Abstract

linguistics deliberative came to deal in exchange for so-called (linguistics use) have popularized the use of the term act of verbal between students and different definitions depending on the different authorities Alabstimologih that stepping-stone, and as agreed, the act of speech is to speak as means to achieve linguistic acts or is all vocalized spend utter in certain conditions to an event or act and produce this reaction effects may be linguistic, and may be non-linguistic, Austin is the first of the said The language activity, work performed, or that the speaker does not tell his reach, but he does any work, is supported by the structure of actively and intentionally speaker wants to achieve as a result of when he spoke the words from words, language is not built and significance only, it is also an act of verbal accomplished speaker leads him it is a work purposes Menen which aspires to happen

هوامش البحث

(١) ظ: اللسانيات اتجاهاتها الأساسية وقضاياها الراهنة، نعمان بوقرة ١٦٠.

(٢) ظ: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك ٢٥٧

(٣) ظ: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي ٦٣.

(٤) ظ: التحليل التداولي: الأفق النظري والإجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية، الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، مجلة الأثر، ٣

(٥) ظ: المقاربة التداولية فرانسواز أرمينكو ٨٠.

(٦) التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي ١٦.

(٧) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة ١٣.

(٨) ظ: معرفة الآخر(مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة) عبد الله ابراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي ٨٤

(٩) ظ: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني ٢٥٥

(١٠) التداولية عند العلماء العرب ٥ - ٦

(١١) دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم مقاربة تداولية، حكيمة بوقرومة ١١

(١٢) تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، رحيمة شيتر، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة ١٤٩.
(١٣) مبادئ في اللسانيات، خولة الإبراهيمي، دار القصبة للنشر ١٦١.
(١٤) ظ: الفلسفة واللغة، الزوواوي بغورة ١٠٦
(١٥) نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون أوستن ١٦
(١٦) تعديل القوة الإنجازية، محمد العبد، مجلة فصول ع٦٥ /١٣٧.
(١٧) ظ: استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري.
(١٨) ظ: الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، هاشم الطباطبائي ٢٥.
(١٩) ظ: آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة ٦٩.
(٢٠) ظ: م.ن ٦٩
(٢١) ظ: المقاربة التداولية فرانسواز أرمينكو ٦٢.
(٢٢) ظ: م.ن ٦٢.
(٢٣) ظ: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي ٤١ – ٤٢.
(٢٤) ظ: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي ٥٦.
(٢٥) ظ: م.ن ٤٢
(٢٦) الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، علي عزت٥١.
(٢٧) نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل، العيد جلولي مجلة الأثر العد الخاص، الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب جامعة قاصدي مرباح ٥٩.
(٢٨) ظ: آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة ٦٧.
(٢٩) نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون اوستن تترجمة عبد القادر قنيني ١٢
(٣٠) ظ: الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، هاشم الطباطبائي ٣٠.
(٣١) ظ:العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل ترجمة سعيد الغانمي ٢١٨
(٣٢) التحليل اللغوي للنص، مدخل إالى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر ترجمة سعيد حسن بحيري ١٧٧.
(٣٣) ظ: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة ٦٦.
(٣٤) البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، د. قدور عمران ٦١.
(٣٥) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي ٤٤
(٣٦) أعيان الشيعة ١/ ٥٩٣.
(٣٧) ظ: نظرية أفعال الكلام العامة ١٢٣ وما بعدها.
(٣٨) التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية ٧٨

(٣٩) تاريخ الطبري ٦/ ٢٤٢.
(٤٠) التداولية، جورج يول، ترجمة قصي العتابي ٩٠.
(٤١) ظ: نظرية الأفعال الكلامية، هاشم الطباطبائي ٣١
(٤٢) ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود احمد نحلة ١٠٠
(٤٣) مقالات في التداولية والخطاب، عمر بلخي ٤٨
(٤٤) ظ: في البراغماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي،علي محمود حجي الصراف ٢١٦
(٤٥) أعيان الشيعة ١/ ٥٩٣
(٤٦) الكامل في التاريخ ٣/ ٢٨٥
(٤٧) مجمع الامثال ٢/ ٢٧٣.
(٤٨) ظ: التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية ٤٥.
(٤٩) انساب الأشراف ٣/ ١٨٨ وظ الكامل ٣/ ٢٨٧.
(٥٠) الأسرار الحسينية ٢٣٢
(٥١) مقالات في التداولية والخطاب، عمر بلخير ١٨٩.
(٥٢) التداولية، جورج يول، ترجمة قصي العتابي ٩٠
(٥٣) ظ: نظرية التأويل – الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي ٤١.
(٥٤) ظ: نظرية الأفعال الكلامية، هاشم الطباطبائي ٣٠
(٥٥) مقتل الإمام الحسين الخوارزمي ١/ ١٨٤.
(٥٦) مقتل الخوارزمي ٢/ ٩.
(٥٧) التداولية، جورج يول، ترجمة قصي العتابي ٩٠.
(٥٨) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ٣٦٣.
(٥٩) ظ: الخطاب النفسي في القرآن الكريم، كريم ناصح الخالدي ٢٤٢.
(٦٠) مقتل الخوارزمي ٢/٩.
(٦١) أعيان الشيعة ١/ ٥٩٣.
(٦٢) التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية ٧٣
(٦٣) ظ: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي ٦٣
(٦٤) مقتل الامام الحسين، المقرم ١/ ٢٨٩ وظ مقتل الخوارزمي ١٢٠
(٦٥) أضواء على ثورة الامام الحسين ٩٩، السيد الشهيد محمد الصدر
(٦٦) بحار الأنوار ٤/ ٣٢٩
(٦٧) ظ: الإمام الحسين شمس لن تغيب ٣٢

قائمة المصادر والمراجع

١- الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، علي عزت، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.

٢- استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، ط١ ٢٠٠٣.

٣- الأسرار الحسينية، محمد فاضل المسعودي، مؤسسة الأنوار الفاطمية ١٤٢٦.

٤- الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠.

٥- أضواء على ثورة الامام الحسين، السيد الشهيد محمد الصدر، دار الكتاب الاسلامي، ٢٠٠٦

٦- أعيان الشيعة، السيد محسن العاملي، بيروت – دار التعارف.

٧- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود احمد نحلة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٦.

٨- الإمام الحسين شمس لن تغيب، الشيخ جميا الربيعي، دار الاعتصام ' ايران- قم، ٢٠٠٥.

٩- أنساب الأشراف، احمد بن يحيى البلاذري، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات- بيروت ١٩٧٧.

١٠- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان ١٩٨٣.

١١- البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، د. قدور عمران، عالم الكتب الحديث، الاردن، ط١، ٢٠١٢.

١٢- تاريخ الأمم والملوك/ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف- مصر ،١٩٧٤

١٣- التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥.

١٤- التداولية، جورج يول، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، ط١، ,٢٠١٠

١٥- تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، رحيمة شيتر، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠٠٨-٢٠٠٩

١٦- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

١٧- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، ط١، ٢٠٠٧.

١٨- التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية، هادي سعدون هنون، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة الكوفة، ٢٠٠٨.

١٩- تعديل القوة الإنجازية، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحيث، الأردن،ط١، ٢٠١١.

٢٠- الخطاب النفسي في القرآن الكريم، كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٧.

٢١- دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم مقاربة تداولية، حكيمة بوقرومة، مجلة الخطاب، دار الأمل للطباعة وانشر، جامعة مولود تيزي وزو، العدد الثالث، ماي ٢٠٠٨.

٢٢- العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٦.

٢٣- الفلسفة واللغة، الزوواوي بغورة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

٢٤- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة، ط١، ٢٠٠٩.

٢٥- التحليل التداولي: الأفق النظري والإجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية، الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، مجلة الأثر، ٣.

٢٦- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق عبد الوهاب النجار، مصر ١٣٥٦.

٢٧- اللسانيات اتجاهاتها الأساسية وقضاياها الراهنة، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، عمان، ط١، ٢٠٠٩,

٢٨- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ط١٩٩٤.

٢٩- مبادئ في اللسانيات، خولة الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، الجزائر(د.ت)٢٠٠٠.

٣٠- مجمع الامثال ابو الفضل احمد بن محمد الميداني، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجيل_ بيروت ١٩٨٧

٣١- معرفة الآخر(مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة) عبد الله ابراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٦.

٣٢- المقاربة التداولية فرانسواز أرمينكو، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط- المغرب(د.ط) ١٩٨٦.

٣٣- مقالات في التداولية والخطاب، عمر بلخير، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠١٣.

٣٤- مقتل الإمام الحسين، الخوارزمي، تحقيق محمد السماوي، منشورات مطبعة الزهراء- النجف الأشرف، ١٩٤٨

٣٥- مقتل الحسين، المقرم، مؤسسة الخرسان، بيروت- لبنان ١٤٢٦.

٣٦- النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب(دط) ١٩٩٦.

٣٧- نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون اوستن ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، (دط) ١٩٩١.

٣٨- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطباطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، (د.ت) ١٩٩٤.

٣٩- نظرية التأويل – الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي،.

٤٠- نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل، العيد جلولي مجلة الأثر العد الخاص، الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب جامعة قاصدي مرباح.